

٣ - تقويم الذهبي للفقهاء والفقهاء

تمهيد :

كان للفقهاء أثر واضح في المشاركة في تسيير دفعة الحكم في عصر الماليك وسلاطينهم ، وكان لقاضي القضاة رئاسة السلطة القضائية في الدولة ، كما كان لبعض كبار العلماء والفقهاء مركز استشاري ، فكان معظم السلاطين لا يجزمون بأمر هام ، ولا يبرمون أمراً ذا بال ، كالحرب ، وفرض الضرائب ونحو ذلك إلا بعد استشارة هؤلاء ذوي المكانة العلمية الكبرى في نفوس الشعب المسلم .

لذلك كان بعض علماء الفقه وطلابه يتسابقون إلى المزيد من المناصب العلمية ، وكان علماء كل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة يتكاتفون ، ويتركزون في مدرستهم أو مدارسهم الخاصة بهم ، وفي حلقات العلم التي يعقدونها لطلابهم ، وقد وجه الإمام الذهبي نقده التربوي على أساس الخصائص التي تميز بها أصحاب كل مذهب من فقهاء المذاهب الأربعة .

غير أن طبيعة هذا البحث التربوية تقضي بتجريد البحث من الصفة المذهبية الضيقة ، لاسيما أن معظم وجوه النقد التربوي الموجهة : كل منها إلى أرباب مذهب معين - يشترك في الحاجة إليها عدد غير قليل من علماء المذاهب الأخرى وطلابها ، كما سيتضح